مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 18 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2022 الصفحات 391- 402

إشكاليّة السياق في رواية قوارير لربيعة جلطي، دراسة سيميائيّة

The Problem of Context in Rabia Jalti's novel "Quawarir": Semiotic Study

سعاد زمولي[1]،[*]

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي/ معسكر (الجزائر)، souad.zemoul@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 15/05/ 2022 تاريخ القبول: 14/11/ 2022

الكلمات المفتاحية:
السّياق غير اللّساني؛
الموسوعة؛
السّياق الاجتماعي؛
السّياق الثّقافي؛
الصّورة النّمطية؛

الملخص:

إنّ الكشف عن المعنى في النّصوص الأدبية يحتاج إلى ما يحدّده، لذا ركّزت السيّميائيات النّصية على احتواء السّياق إذ دعا فرانسوا راستي إلى اعتماد المحيط بوصفه سياقا غير لساني دون إنكار دور السّياق اللّساني لتحيين بعض السّيمات المكوّنة للتّشاكل على المستوى التّركيبي والاستبدالي. وسعى راستي لإعادة الاعتبار لدور السّياق (المحيط) مقابل النّسق، فإلى أيّ مدى يفعّل السّياق (المحيط) المعنى المضمر في النصّ ؟

لذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي التحّليلي من خلال تتبّع السّياقات غير اللسانية الموازية في رواية قوارير لربيعة جلطي لمعرفة أثرها في تأويل المعاني النصيّة ،وفق البنية العميقة للنصّ ومفهوم التّأويل عند أمبرتو إيكو، وتفاديا للتّطبيق النّقلي لمفهوم السّياق غير اللساني (المحيط) لدى فرانسوا راستي، لأن المفاهيم متغيرة حاولنا تكييف المفهوم.

Keywords:
Nonlinguistic Context,
Encyclopedia ,
Social context,
Cultural context,
Stereotype,

ABSTRACT:

The identification of meaning in literary texts needs some clues. Textual semiotics focused on the context as François Rastier called for adopting the non-linguistic context without denying the linguistic context to revive some features that make up the construction at the compositional and substitutive level. Rastier sought to reconsider the role of context versus pattern. Hence, to what extent does the context activate the implicit meaning in the text? Therefore, we adopted a descriptive and analytical approach by tracing the non-linguistic context in Rabia Jalti's novel "Quawarir" to determine its effect on the interpretation of the textual meaning and to avoid the transfer of the concept of the linguistic context (periphery) to Rastier because the concepts are changing, we tried to adapt the concept.

[*] سعاد زمولي

1. مقدمة:

أدّى ظهور نظرية السّيميائيات إلى تطور المفاهيم والآليات الإجرائية في تحليل النّصوص، فقد عُنيت السّيميائيات النّصية كفرع من السّيميائيات بدراسة الممكنات الدّلالية المتضمنة في بنية النصّ وتأويل المعنى لكّن لا يمنع ذلك من الإحاطة بنسقه الدّاخلي ومعرفة السّياق المصاحب له، وإنْ كان فرانسوا راستي قد بنى سيميائيته النّصية على مفهوم السّياق رغم أنّه عامل من عوامل فعل التّواصل حيث أثبت رومان جاكبسون ذلك في خطاطته التّواصلية بين الباث والقارئ.

لكّن السّياق اللّساني ليس آلية نهائية لإشكالية الدّلالة كما نظّر لها ألجيرداس جوليان غريماس فالسّيمات السّياقية الّتي تحدّد معنى اللّيكسيمات في النصّ غير مجدية، لذلك نشهد تحوّلا في المقاربات والمنظورات لدى بعض السّيميائيين مثل فرانسوا راستي حيث اعتمد على السّياق اللّساني وغير اللّساني (المحيط) في تأويل دلالة النصّ، مُعارضا أستاذه ألجيرداس غريماس في اتّخاذ المسار التّوليدي كمجموعة من التّمفصلات لقراءة النصّ بالإضافة إلى الموضوعية بوصفه بنية محايثة لا علاقة له بما هو خارجه، مُبرزا البُعد الذاتي في مقاربته جاعلا السّياق(المحيط) عاملا لتحيين التّشاكلات وبناء الدّلالة النّصية، لأنّه يسمح بفضل مكوّناته المتباينة كالعصر والثّقافة والقارئ بتأطير معنى النصّ.

إنّ تنظيم البُنى الدّلالية في النّصوص السّردية وكيفية تشكّلها لصياغة المعنى وفق منظور السّياق غير اللّساني خاصة تستدعي الكشف عن السّيرورة الدّلالية في رواية قوارير لربيعة جلطي، معتمدين على المفهوم الّذي صاغه فرانسوا راستي لأنّه خالف سابقيه في دراسته إذ جعلوا النصّ بنية محايثة لا صله لها بما هو خارج لساني، ودرسوا التّمفصلات السّردية والبُنى العاملية والبرامج السّردية، فلا يتجسّد المعنى إلاّ ضمن البنية العميقة مُرورا بالبنية السّطحية حيث يتجسَّد فعل السّرد (العوامل، الموضوع، الذات).لهذا ارتأيت دراسة دور النّسق والسّياق في تغيير المعنى النصّي لما للسّياق خارج لساني – المحيط- من أهمية في اختزال الممكنات الدّلالية، وإرجاء النصّ إلى قراءة ممكنة وتخدير الاحتمالات الأخرى .

تركّز هذه الدراسة على تبيُّن العلاقة بين نسق النصّ السّردي وسياقه غير اللّساني ضمن رواية قوارير للكاتبة ربيعة جلطي،لمعرفة مدى التّفاعل بين النَّسق والسِّياق وإمكانية تحديد المعنى عن طريق كشف أهمّ السّياقات غير اللّسانية المحيطة بعوالمها، متفادين المقاربة الآلية لمفهوم السّياق غير اللّساني عند فرانسوا راستي، لذا فأجرأته تتحدّد بخصوصية النصّ السّردي الروائي المعتمد، وما تُتيحه بنيته من إمكانات نصّية.

2. العلاقة بين النّسق والسّياق عند فرانسوا راستي:

إنّ الحديث عن العلاقة بين النّسق والسّياق يستدعي مفهوم النصّ الجديد الذي صاغه فرانسوا راستي المتباين عما اقترحه رولان بارث وجوليا كريستيفا، وقد أبان عن اهتمام بالغ بالمتن الذي يمكّننا من تأويل المعنى، فهو ليس مُعطى جاهزا بل يخضع للنسق والسّياق النّصّيْن، ويرى أنّ السّيميائيات السّردية تبحث في المعنى النصّي انطلاقا من المعنى اللّفظي المجسّد في المربع السّيميائي، فهي أنتجت نظريات تخصّ الدّلالة اللّفظية ولا تخصّ المعنى النصّي، ممّا

قاده إلى تأسيس مفهوم للنصّ باعتبار اللّسانيات مُكمّلة للسّيميائيات، "فهو متوالية لسانية مُثبتَة تمّ إنتاجُها ضمن مُمارسة اجتماعية محدّدة ومثبّتة على عماد مُعيّن".[1]

"فالنصّ لا يعدّ ببساطة إنتاجا منبثقا من استعمال نسق لغوي شريطة أن نسلّم بالتجانس أو الاطراد البنيوي لهذا النسق، ولكّنه ينتج عن التفاعل بين النسق وبين أنساق أخرى تنتمي إلى المعايير المجتمعية"[2] (من بينها الخطابات والأجناس وحتّى اللّهجات) ،فهو مزيج من اللغة وأنساق أخرى غير لسانية لأن دلالة النص لها علاقة بعلوم أخرى كعلم النفس، علم الاجتماع، الصور...

ويؤكّد فرانسوا راستي على إشكالية النصّ قائلا: "علينا أنْ نتوفّر على نظرية للمعايير بهدف وصف النصوص وليس فقط على نظرية النّسق بالمفهوم القوي، القواعد تستلزم وتقصي، بينما المعايير تقترح وتتساهل"[3]، وتلك المعايير تتعدد كمعيار اللّهجية الاجتماعية الخارجية والمعايير اللّهجية الخارجية.

وفي المقابل فإنّ مفهوم النّسق قد عرف تطورا من اللّسانيات إلى علم السّيميائيات "فهو كلٌ متماسك تعتمد عناصره على بعضها البعض"[4]، لكّن المعنى لم يعد مستقرا لأنّه تجاوز النّسق الدّاخلي اللّساني إلى السّياق الخارج لساني مادام مفهوم النّسق تجاوز ذلك إلى السيميائيات الّتي تنطوي أنساقا متباينة بين الصّور والممارسات الاجتماعية والثّقافية وتأويلها يحتاج إلى تحيين السياق غير اللّساني وهو ما أسماه فرانسوا راستي المحيط.ويرى أنّ الدّلالة التأويلية "تتحقّق من خلال قيمة تلك الوحدات اللسانية في نسقها كما تتحقق الخاصية الدلالية للعلامة من خلال السّياق المحلّي أو العالمي"[5].

وقد سبق للدّراسات السّابقة أنْ أهملت السّياق الخارجي حيث اقتصر رومان جاكبسون على السّياق الدّاخلي وتجاوز السّياق الاجتماعي والثّقافي والتّناص[6]، فللسّياق تأثير كبير في تحديد دلالة النّصوص وعلى الخصوص في السّيميائيات النصّية الّتي تدرج معها السّياقات الدّاخلية والمحيط المشتمل على علامات سيميائية وإيماءات ووعي اجتماعي ومظاهر فيزيائية مختلفة من زمان ومكان.

لقد استعان فرانسوا راستي بالسّياق انطلاقا من تحيين السّيمات في سياقاتها؛ لأنّ السيمات الملازمة تحين في سياقها اللساني أمّا السّيمات المجالية تحين في سياقها غير اللساني، فالمعنى يوصف داخل اللغة من خلال عناصر دلالية مثل السيمات المشتركة في الكلمات مثل سمات توليدية أو سيمات خصوصية مثل سكين/ شوكة فهما يشتركان في سيم واحد /آنية/ والسّكين يختلف عن الشوكة في سيم/ التّقطيع/[7].

فقد حدّد فرانسوا راستي مفهوم السياق وبيَّن دوره في التّأويل الدّلالي للنصوص،لأنّ النصّ يجمع بين ماهو لساني وسيميائي وتداولي، ولأن النصّ عرضة لتعدّد المعنى اللانهائي فإنّ المتلقي يحتكم إلى السّياق لإيقاف التدفق الدّلالي،ويتعين المعنى عند راستي في بناء سياق من المتلقي انطلاقا من السّياق اللساني وغير اللّساني بوصفهما محددّين من محدّدات التّأويل حيث يساعد السّياق غير اللّساني في تحيين السيّميمات الموجودة في النصّ.

كما عني ألجيرداس جوليان غريماس بالسياق "فهو مجموع النص الذي يصاحب وحدة تركيبية معتبرة، ويعتمد عليه لتحديد المعنى (...) ويمكن استغلاله في رؤية التأويل الدلالي"[8].

3. السّياق في رواية قوارير لربيعة جلطي:

1.3 مضمون الرواية:

تتحدّث الرّواية عن الواقع المرير الّذي تعيشه نساء مدينة عشقانة اللواتي يسعين إلى تغيير مايسود عالمهن من تسلط وجور المفروض من المجتمع الذكوري، ومن بينهن اصفية الصابرة امرأة صوفية مطلقة أنجبت ابنة تدعى "ليناز" شبيهة بأمها في إتقان عملها وكتمان الأسرار، تدخل السّجن بتهمة تحريض النساء، ويُفرجَ عنها كما أنّ هذه المرأة لها ميول صوفية من أتباع لالة الكاملة بنت الصفا تتميز بتصوفها، تحاول إعداد كتاب لتغيير الفكر الإنساني سيؤدي إلى إحداث ثورة في المدينة.

إنّ النساء في مدينة عشقانة يحاولن تغيير الحياة والبحث عن الحرية والاستقلالية، إذ يُقبِلن على قراءة الكتب في الفلسفة والدّين والتّفسير والمنطق والتصوف والتثقف والاطلاع على المخطوطات القديمة لمواجهة ظلم الذكور واستعدادا للاحتفال بكتابهم الجديد الذي سيغر مدينة عشقانة، لذا أرسلت اصفية الصابرة ليناز للعمل مكانها بعد تقاعدها واتخذت لها الكاملة بنت الصفا اسما من أسماء النساء اللّواتي عرفهنّ التاريخ.

تستعدّ النسوة للاحتفال بكتاب صحائف النساء في حفل بهيج قصد تغيير طباع الرجال وسلوكاتهم لكنه يثير غيظ وسخط الرجال فتقوم الشرطة بإلقاء القبض على اصفية الصابرة والنساء تزغردن[9].

2.3 السّياق التّاريخي:

مضمون الذاكرة:

إنّ الأحداث في هذه الرواية تحيّن في سياقها التاريخي باعتبارها تستقي من الذاكرة الجماعية، فالكاتبة ربيعة جلطي وظّفت بعض الشّخصيات الدّينية والتّاريخية والثقافية والفنية العظيمة في تاريخنا المجيد، ومن بينهم النساء اللّواتي عرفن بمواقفهن النضالية بوصفهن رمزا للمرأة الرافضة للخنوع والاستسلام،فمدينة عشقانة تتحدّد معالمها وفضاؤها الخارجي بمجموعة من الشّوارع تحمل أسماء نساء عرفن بشجاعتهن وقوتهن فلا تزال أسماؤهن ماثلة وخالدة وهذا لتذكير الأجيال القادمة ببطولاتهن، إذ تمّ تسمية الشارع باسم المناضلة والثورية جميلة بوحيرد رغم وجود اسم ذكوري له فالمتلقي يعتمد على وعي السّارد بمضامين الذاكرة الجماعية، وهنا يتجلّى دور القارئ بعرضه لجملة من التّخمينات ليكشف عن المعنى[10]، فاسم جميلة بوحيرد أيقونة الثورة الجزائرية التي أدّت دورا هاما في تحرير الوطن من الاستدمار الفرنسي.

كما أنّ قلعة الكاملة بنت الصفا لا تضمّ إلاّ النساء دلالة على إصرارهن على التحرّر من سلطة التقاليد والقيم القديمة، ويحملن أسماء مستعارة من التاريخ والأدب، "قلعة الكاملة بنت الصفا قلعة العبقريات من النساء اللواتي سيغيرن العالم، يمثلن جزءا من الحداثة وحركة التنوير من خلال العلم والعمل منكبات على القراءة والتّنقيب بمنتهى الجدية ...ما الذي يفتشن عنه يا ترى في أمهات الكتب هذه والمراجع، والمؤلفات القديمة منها والحديثة؟"[11]، كما جعل لابنة اصفية الصابرة "ليناز" اسما مستعارا من التاريخ الأندلسي "ولادة بنت المستكفي"،لا لا ..هنا أنت

ولادة وفقط ..ولادة .تذكري ذلك جيدا"،[12] يمكن تأويل أحداث رواية قوارير؛ شارع جميلة بوحيرد في سياقها التّاريخي لأنّ الشّارع يحمل اسم مناضلة عرفها التّاريخ.

3.3 السّياق الاجتماعي:

لا يمكن للقارئ أن يفصل الكون الدّلالي للنصّ عن السّياق الاجتماعي في تأويله،فأحداث الرواية تحيل على الفكر والمعتقد الذي يحمله مفهوم المرأة في المجتمع الذكوري، وتكريسه لمفهوم العنف حيالها بأنماطه المختلفة مؤديا إلى معاناة نفسية "ريناس التي انطلقت من حدث طلاقها بعد أربع سنوات من زواج لم تنجب فيه (...)، زوجها السابق سياسي معروف طموح بشكل مرضي عنيف،ومتسلط، وأناني"[13]،كما "أنّ النص فعل كلامي لا يحدّده المقام الاجتماعي فقط وإنما تحدده كيفية استعمال اللغة"[14]؛ حيث إنّ اصفية الصابرة نتيجة أوضاعها الاجتماعية المتمثلة في خيانة زوجها في فترة الإنجاب على التحرّر والتّغيير في المجتمع الذكوري، وهنا يدعو فرانسوا راستي لتطويع هذا الفن استجابة للتّغيرات الاجتماعية الحاصلة[15].

كما تبحث المرأة عن هويتها وسط المجتمع الذكوري فهي تجمع بين حاضرها وماضيها وتحاول الانعتاق من المنفى الذي تعيشه أو الصراع بين الأنا والآخر،"ماذا تفعلين في الشّارع، الشارع للذكور"[16]، لتهجر القسوة والظلم الذي يسلطهما المجتمع الذكوري وبذلك يحدث الاتزان النفسي، "وضعت يديها بقوة على كتفيه، فسمرته على كرسيه ثمّ طلبت منه أنْ يعتذر وألاّ يعيد النطق بها لفتاة أخرى أبدا"[17]، وفي هذه المقاطع تتجلى معاني القهر والظلم الذي يحتضنها المجتمع ويهدف إلى تأصيلهما، وهنا محاولة لتوعية الآخر بمكانة المرأة، وقد يكون نفي الآخر إثباتا للذات.

4.3 السّياق الثقافي:

تتضمّن الرّواية رموزا ثقافية كثيرة لذا فإن حضور الرّمز أو الشفرات الرمزية يعدُّ عند السّيميائين علامة، وللتعرّف على دلالاته يجب تحيين السياقات الثقافية لتأويل معنى تلك العلامات، لأنّ الرّمز يحيل على موضوعه من خلال مقولة الثالثانية الّتي أشار إليها شارل سندرس بورس "باعتبارها قانونا فهي تجريد للمفاهيم من بعدها المحسوس"[18]، فالفكرة الناجمة عن الرّمز ليست المعنى الأوّلي بل هناك معنى المعنى أو ما يُعرف بالمعنى الإيحائي، ويمثّل ذلك الرّمز قصدية النصّ الّتي يعدُّها أمبرتو إيكو أساس الممارسة التّأويلية في وجود القارئ وانطلاقا من تحيين ذلك الرّمز وفق سياق من السّياقات، "ويعمد الإنسان إلى الرّمز من أجل التّعبير عن مجموعة من القيم بطريقة الإيحاء والتّمثيل، فالرّمز شفرة تُخفي المعنى حتّى لا يدرك إلا إيحاء"[19].

كما تجسّد الرّواية ظاهرة العنف المستفحل في الكيان الثّقافي، الاجتماعي، ويتجلّى ذلك من خلال العادات والثّقافات السائدة في المجتمع العربي، والنظرة الدونية الآخر الذكوري إلى المرأة بوصفها رمزا للضعف، فالسّياق الثّقافي الذي "يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد"[20].

إنّ ثقافة المجتمع الخاضعة للقيم والعادات والتّقاليد تساهم في تحديد المعنى لقد ألف الآخر الذكوري ممارسة سلطته على المرأة بوصفها كيانا ضعيفا، لكن ذلك الواقع المعيش المرير تسعى المرأة لتغييره ورفض تلك الإحباطات والانهزامات لوجود وعي ثقافي واجتماعي بإسهامات المرأة وما قدمته عبر التاريخ، لذلك نجد أن تحيين السياق الثقافي من خلال شخصيات ثورية وأدبية وفنية يحيل على عمق الثقافة ويثبت الهوية الحقيقية للمرأة.

رغم مظاهر العنف المنتشرة في الوجود إلى أن وعي النساء بدورهن وأحقيتهن في الحياة جعلهن يواجهن الوضع السائد دون خوف والاقتداء بنساء عرفهن التاريخ، "...أنّها خلف انتشار ظاهرة انكباب النّساء على التنقيب في تاريخ النساء القديم منه والحديث (...) تتمثّل في تصرفات غير العادية للنساء والمتمثلة في أفكار غريبة هدامة للعرف والتّقاليد ولا تمتّ لشعبنا بصلة"[21]؛ إذ يصوّر هذا القول الوعي الثّقافي للمرأة للانعتاق من جور الآخر الذّكوري الّذي حاول إقصاءها، بينما تستمدّ وجودها من ذكريات نساء خلدهنّ التّاريخ، وترغب في عيش وجود ممكن رغم تهديدات الآخر حيث رفض السّيد الوالي أن يسمي الشارع باسم جميلة بوحيرد وأقام احتفالا للتذكير باسم الشارع الحقيقي ولد الفحل الساطوري، "ولد الفحل الساطوري كذا... ولد الفحل الساطوري كذا...ولد...، فليكن هكذا ممتاز، سيرسخ الاسم في الذاكرة الجماعية، فقد صدق من قال: إنّ في الإعادة إفادة. أيّة جميلة بوحيرد هذه؟! شارع جميلة بوحيرد قال!بل شارع ولد الفحل السّاطوري، وربي كبير، وليُخبر الحاضر الغائب إذا"[22].

إنّ رفض الوالي للاسم الأنثوي يحيل على الواقع المرجعي للمؤلفة؛ حيث يسود التفكيك بين الذات والآخر،والانسلاخ من المبادئ والقيم، إذ يتلذّذ الذكر بفرض قوته وجبروته إلى درجة إنكاره لما قدمته بعض النسوة على مدار التاريخ، فجميلة بوحيرد رمز للبطولة والشجاعة والصمود، لكن ذلك يكشف عن الصراعات الباطنية الكامنة في البيئة الثقافية، "هل أن جهود السيد الوالي المعتبرة، ومصالحه المميزة ستنجح في تلقيح الذاكرة من جديد أم أنها ستبوء بالفشل... لا قدر الله ؟!"[23]، ولاستعادة صورة المرأة عبر التاريخ اتفق النسوة على تسمية شوارعهن بأسماء نساء مثقفات لهن صيت في الثقافة المحلية والعالمية، فلم تعد للمرأة تلك الصورة النمطية التي عرفها الرجل،"(...) آسيا جبار، وعلى اليسار غرب المدينة المطل على البحر أصبح يعرفه الكثير بشارع بقار حدة، ثم شارع الريميتي، شارع زبيدة حقاني، وشارع لورانيز، وشارع الكاهنة"[24].

لكّن إعادة صورة المرأة وكينونتها يتعلق بالتّغيير الذي تسعى إليه اصفية الصابرة وجميع نساء مدينة عشقانة، فهي تعمل على تغيير ما هو سائد لأنه يجب"تغيير القيم الرمزية للمجتمعات لكي تحدث إزاحات في البنيات الذهنية، ولإدراك الأنساق الرمزية لابد من العودة إلى الدّين والثقافة والتربية الّتي تكون هذه الذهنيات"[25]، ولهذا تجتمع نساء قلعة الكاملة بنت الصفا لقراءة أمهات الكتب والمخطوطات بغية نشر كتاب "كتاب صحائف النساء"يكون مصدرا لقوتهن وتحرّرهن.

الشكل رقم 01: رمزية المرأة والسياق

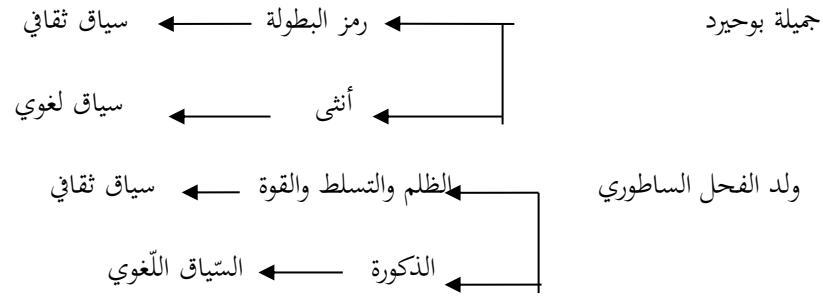

ويبدو أنّ اصفية الصّابرة أخذت العبرة مما وقع لها بعد وضع ابنتها لينار فتخلي الرجل عن زوجه في الظروف الصعبة يندرج ضمن سياق ثقافي ألفته النساء في واقعها "هل فقدت الثقة تماما في الذكور بعد الذي حدث ؟"[26]، إضافة إلى استعمال بعض الكلمات مثل "الخائن"و"الذئب"،فهي لا تتضمن معنى صريح؛ لأنّ قراءة النّصوص لاتحتاج إلى معنى أولي بل "تتطلب الغوص في العوالم التي يفتحها النصّ أمامنا اعتمادا على ما يمكن أن تقوله ذاكرة الكلمات، لا الاكتفاء بتحققها المباشر فقط، وهذا أمر يقتضيه تشكل النصّ، (...)، والأمر يتعلّق بعوالم تتحقق في ذاكرتنا ووعينا ضمن الموسوعة وضمن ممكناتها"[27].

والموسوعة "تعدّ مسلمة سيميائية، أيْ فرضية إبستمولوجية يجب أن تقود إلى استكشافات وتمثلات جزئية ومحليّة خاصة بالكون الموسوعي"[28]،فكلمة الخائن لاتحيل على معنى معجمي "الاستحواذ"، بل تدل على تجريح الآخر الأنثوي وإذلاله نظرا لانعدام قدرته على امتلاكه وإخضاعه لسيطرته، فلم تتمكن الذات من موضوعها، وبالتالي إنّ الموسوعةّ "توفّر مجموعة من الاختيارات لذا فإنّ الانتخابات السّياقية من شأنها تعيننا على الدخول إلى نسق الكفاية التناصية"[29]، وذلك باختيار سياق من السياقات لتحديد دلالته،"تسبّ الخائن الذي هو أبي بأبشع السّباب ومن خلاله جميع الذكور"[30].

أمّا كلمة الذّئب فهي تُحيل على المكر والخديعة ومعنى هذه الكلمة مستوحى من الموسوعة ومن المخزون الثّقافي فالمعنى وليد التراكمات الاجتماعية والثّقافية؛ لأنّ الذّئب رمز للخداع، وقد استعارت الكاتبة هذا الرمز من الواقع الاجتماعي"من هو القطيع ومن هو الذّئب... لن ولم يتبادلا الأدوار منذ بدء الخليقة"[31].

كما نُلفي أنّ اصفية الصابرة ذات النزعة الصُّوفية قد تجردت من نوازع ذاتها، ومن تحقيق مطامحها والتمتع بحياتها، إذ راحت تبحث عن حقوق النساء برؤية استشرافية وإيجاد عالم بديل عن السّائد الّذي يعكس صور القتامة والخداع والخيانة وشيوع الظّلم والجبروت، ولعل الذّات الصُّوفية قد تجد مخرجا للخطر الذي يتربّص بعالمهن معلنة تفوقها على الآخر الذّكوري بمواجهة مآسي وعوائق البيئة الاجتماعية (فقدان الوظيفة، السّجن، التّفكير في تغيير واقع النساء، الاحتفاء بكتاب صحائف النساء).

وضمن السّياق الثّقافي نستشفُّ حضورا صوفيا عكسته الروائية ربيعة جلطي في عملها الأدبي فموضوعات الخمرة والتوحد والكشف بارزة حيث تحيل الكثير من الرموز إلى التّجربة الصوفية فالحلاج، ربيعة العدوية، إخوان

الصفا، المجدوب، تدلّ على التشبع الصّوفي الّذي استقته الأديبة من بيئتها الثقافية فتقول الروائية: "لا يبدو على أمي القلق بل بالعكس تماما، بدت مرتاحة جدا لما سيضيفه لي عالم قلعة الكاملة بنت الصفا"[32].

ومن معاني الصوفية هي الزهد وتدريب النفس على الصبر والمشاق والابتعاد عن العالم المادي، وهذا ما تسعى إليه نساء مدينة عشقانة التي أرقها المجتمع الذكوري وقيدها ومارس عليها سلطته "أو هي تتلو بصوتها الهادئ، وغالبا ما تكون واحدة من رسائل إخوان الصفا الاثنين والخمسين مثل التحرج عن رمي من ظاهرة الإسلام بالكفر"[33]، ويبرز تضمين القصائد الصّوفية فتردد الحلاجة قول الحلاج:

"للناس حجّ ولي حجٌّ إلى سكني
تُهدى الأضاحي وأهدي مُهجتي ودمي"[34].

5.3 السّياق الشّخصي:

ساهمت شخصية اصفية الصابرة بما يتنازعها من عاطفتي الألم والأمل في بلورة رؤية جديدة عن المرأة، فثقافتها جعلتها تطالب بالتغيير دافعة كل أشكال الهيمنة والسيطرة ونفوذ المجتمع الذكوري. وتعدّ جوهر حركة التغيير التي قادتها النساء في مدينة عشقانة "إنّهن يُدركن أنّ مقاومة النّساء النّاعمة الشَّفافة الحقيقية ليست حيال سلطة السيّد الوالي الحالي فحسب، ولا السّيد رئيس البلدية المسكين، (...)، وعليهن أنْ يبقين صاحيات لاتقاء عودة ما مضى من تاريخ الأنفاق المظلمة، وكي لا يصبح الغد القادم سوى ماض آخر جديد، يحمل ذات الإهانة والتّهميش والإذلال لجنسهن"[35].

إنّ الإحساس بالألم المتمثل في خيانة الذكر جعلها تتحلى بالحكمة والفطنة للتحرر من سلطته ولتثبت وجودها هذا ما جعلها تنتصر على عاطفة الألم من خلال عاطفة الأمل المتجسدة في تكتل النّساء وكفاحهن وتبادل الرموز بينهن لاقتناعهن بالتغيير "لا أحد من رجال الوالي ونسائه اكتشف أن في الاحتفال احتفالين، وأن ساكنات الشارع في الحقيقة كن يحتفلن باليوم الذي سيحمل شارعهن اسم السيدة التي اخترنها، بينما يحتفل الوالي وحاشيته وضيوفه الوزراء بالاسم الذي سيعلقونه"[36]، فرغم محاولة الوالي تغيير اسم الشّارع باسم ذكر (ولد الفحل الساطوري) له دلالة السّلطة والقوة إلا أنّهن رضين بالاحتفال لكّن وضعن له اسم امرأة "جميلة بوحيرد"، وهذا يفرض توجهاتهن الفكرية الجديدة، لذا قررت المرأة الانعتاق والنزوع من دائرة الهامشي إلى المركزي عن طريق القراءة والعلم.

إنّ النصّ يعالج قضية تهميش المرأة لذا فإنّ الكاتبة تبدي إيديولوجيتها إذ يرى أمبرتو إيكو أنّ المؤلف يضمّن النص آثارا من إيديولوجيته غير المعلن عنها[37]، لكنّ القارئ يسعى إلى تحريرها لبناء معناه، وتسعى الروائية إلى معالجة تيمة الحرية التي تهدف المرأة الوصول إليها وتتجسد حقيقتها أكثر في التجربة الصوفية ، لذلك نلمح في الرواية حضور البعد الصوفي برمزيته ودلالاته، "فالإنسان الحر يمتلك وعيا ثقافيا يرشد سلوكه وأفعاله نحو الوجهة التي تتفهم منطق الضرورات ولا تنقاد إلى الإكراهات انقيادا يجرده من حريته"[38]، ممّا جعل المرأة في قلعة الكاملة بنت الصفا تتمرد على الواقع الاجتماعي السائد وتبرهن على قدراتها في إثبات ذاتها والتعبير عن ذاتها، تقول ربيعة جلطي: "قررت

عقد مؤتمر مشترك لتدارس أمر تعويض الدساتير القديمة بـ "كتاب صحائف النساء " وتحت شعارات العالم سيغير وجهه البشع ، "وكتاب صحائف النساء أمل الإنسانية"،وكتاب الحياة وشعار نهاية شيء اسمه الحرب"[39].

4.صورة المرأة النّمطية في المجتمع الذُّكوري:

لقد تعوّد الذّكر على الصورة النّمطية القديمة عن المرأة فهو صاحب السّلطة والقوة بينما صوت المرأة لا يكاد يعلو، "انطلق صوت من المقهى القريب ليرمي بحجره المدبب نحونا، بكلام يصفنا بالعاهرتين"[40]، فالذكر يمارس نفوذه لإذلال المرأة وقهرها ليخبو صوتها، لكّن هذه الصورة التي رسمها العالم الذكوري تغيرت فلم تعد تستجيب للآخر الذّكوري، فبعدما كانت صورتها علامة تضمر في مظهرها المألوف مجموعة من المواقف وتخفي جملة من الانفعالات والأهواء الدّفينة في داخلها تحتاج إلى التّجلي والإشباع، ولم تعد ذات مضمون عفوي، فقد تمردت على مجمل الصراعات الباطنية والخارجية التي عاشتها في ظل العالم الذّكوري تنشد الحرية والعدل ومكانتها في هذه الثنائية المفككة، واستعانت بمعتقداتها وبأفكارها للتعبير عن ذاتها.

تحاول استمالة العالم للإشعار بدورها في المجتمع وبقدرتها على تغيير وضعها واسترجاع صورتها المتداولة في مختلف الثقافات؛ حيث حوّلت "اصفية الصابرة" من مجرد امرأة مطلقة غادرها زوجها وخانها إلى امرأة ترمز إلى التّغيير والثّورة على عنف الذكر وسلوكاته، وهي لاتهتم بحالتها بل تنافح عن جميع نساء مدينة عشقانة، حتى اسم المدينة جاء مؤنثا فهو يحيل على ضرورة تقبل الآخر بوجود المرأة أو الأنثى فهي تقاسمه الوجود.

إنّها تعي أهمية التّغيير وضرورة تحويل صورة المرأة السلبية في هذا المجتمع المتناقض إلى صورة نفعية لتصويب الأفكار والمعتقدات السائدة ذلك لإقناع العالم الذكوري بضرورة تقبل التواصل بينهما، وتغيير تلك القوانين الاجتماعية والثقافية السابقة " أمّا فيما يخص العالم الخارجي الذي جئت من مدارسه وقوانينه، ياصغيرتي، وحيث تعلمت، حيث أولئك الذين يحكمون الخارج، ويعدون لحكمهم وسطوتهم كل القوة والجبروت فلا عدل لديهم، فكيف يستقيم تعايش القوة المطلقة ووجود العدل والحرية"[41].

5. مناقشة النتائج:

قد أضحى السّياق عنصرا فعالا في الدراسات النقدية النّسقية بوصفه آلية تستقطب القارئ وتبني أفق توقعاته لتأويل النصّ، حيث يمكن قراءة رواية قوارير للكاتبة ربيعة جلطي وفق سياقات متعدّدة مثل السّياق التّاريخي والثّقافي والاجتماعي، والكشف عن دلالات وموضوعات تُعنى بقيمة المرأة ومكانتها في المجتمع والسعي إلى تحقيق التحرّر وإثبات ذاتها.

6. خاتمة:

إنّ أجرأة مفهوم السّياق غير اللساني (المحيط) لدى فرانسوا راستي يجعل النص الروائي قوارير؛ شارع جميلة بوحيرد منفتحا على معان متعددة لاقتران النصّ بسياقاته المتعددة التاريخية والثقافية والاجتماعية بوصفها مضامين تعكس وعي المجتمع، بالإضافة إلى دور الموسوعة في تحيين دلالات بعض الكلمات في سياقات وسيناريوهات متباينة يكفلها المخزون الثقافي، وفي نهاية البحث خلصنا إلى أهمّ النّتائج المتوصّل إليها:

لا يمكن تأويل دلالة النص في غياب السّياق غير اللّساني (المحيط) فهو محرك يفعله القارئ ليتيح له البحث عن الدلالات المضمرة فيه.

إنّ السياق يسمح بتحديد التفاعلات القائمة بين الوحدات اللسانية ومحيطها.

إنّ ممارسة التأويل تتعلّق بالممارسات الاجتماعية و بأدوار التّلفظ، لذا فإن ربط النص الروائي بسياقه الاجتماعي يمكن القارئ من بناء دلالته، فالظروف الاجتماعية ورؤية الذكر للمرأة حاصل السيناريوهات المختزنة في ذاكرة المجتمع والعادات والتقاليد، لذا تحاول المرأة تجاوز رؤية العالم لها بالتحرّر من سيطرة الآخر الذّكوري وإثبات وجودها.

إنّ السّياق الخارجي يسمح بوضع تحديث للصّورة النّمطية الّتي تصورها عن المرأة بوصفها كائنا ضعيفا تحيل على الاستبداد والقهر إلى صورة مليئة بالدلالات المستحدثة المتمثلة في التحرر والتغيير لتكون رمزا للعطاء وتجسيد الأنا ضد الآخر.

إنّ الشعور بالغربة وبتباين العواطف بين الألم والأمل يجعل الذات تبحث عن موضوعها في هذا الوجود وتحوّل القيمة من بعدها الهامشي إلى المركزي.

المرأة صورة تجسد الثقافة والعلم والعمل الجاد والتغيير والحداثة في مضمونها، لكّن المجتمع الذكوري يحاول طمس تلك الدلالات ليكرس الاضطهاد والسلطة والقيد.

الرواية تعكس منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة في الثقافة العربية.

شُحنت صورة المرأة بمظهر العنف والضعف التي توارثها المجتمع الذكوري وهي ناتجة عن سنن ثقافي، لذا يجب إعادة تشكيل فضاء ثقافي واجتماعي ليرى الآخر الصورة الحقيقية للمرأة.

ومن بين الاقتراحات والتّوصيات الّتي يمكن إدراجها في هذا البحث نذكر:

التّأكيد على ضرورة الإلمام بأهمية السّياق في السّيميائيات النّصية، وفي قراءة النّصوص وتحليلها خاصة العناية بالسّياق غير اللساني (المحيط) الّذي دعا إليه فرانسوا راستي في الدراسات السيميائية بعدما تمّ إهماله في الدّراسات السّابقة .

التركّيز على السّياق غير اللساني يجعل النصّ مفتوحا، ويسمح بالتعدّد الدلالي للنصّ فلا يمكن اختزال المعاني في معنى وحيد كما هو شائع في السّيميائيات السّردية القائمة على البنية العميقة والمسار التّوليدي.

المصادر المراجع:

المؤلّفات:

بنكراد، سعيد، (2011)، *استراتيجيات التّأويل*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

كورتيس، جوزيف وآخرون، ت، بورايو، عبد الحميد، *الكشف عن المعنى في النص السّردي*، دار السبيل.

بوقرة، نعمان، (2009)، *اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة*، عالم الكتب الحديث، الأردن.

الملجمي، علوي أحمد، *المعنى الإيحائي بين التراث النقدي العربي والسيميائيات، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان.*

إيكو، أمبرتو، ت بنكراد، سعيد، (2010)، *العلامة؛ تحليل المفهوم وتاريخه*، المركز الثقافي العربي، بيروت.

يوسف، أحمد، (2013)، *علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب*، منشورات الاختلاف، الجزائر.

راستي، فرانسوا ،ت الخطاب، إدريس، (2010)، *علوم النصّ وفنونه*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

إيكو،أمبرتو،ت أبو زيد، انطوان، (1996)، *القارئ في الحكاية*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .

جلطي، ربيعة ، (2009)، *رواية قوارير، شارع جميلة بوحيرد*، منشورات الاختلاف، الجزائر.

إيكو، أمبرتو، ت بنكراد، سعيد، (2004)، *التّأويل بين السّيميائيات والتفكيكية*، المركز الثقافي العربي، المغرب.

de la théorie du langage ,*Sémiotique dictionnaire raisonné*(1993) J, Courtés,J,.Greimas ,Hachette supérieur,paris.

.édition champion ,paris، *Le grain et le mesure ;sémiiotique de corpus*،françois ، Rastier

.édition champion ,paris، *Le grain et le mesure ;sémiiotique de corpus*،françois ، Rastier

المداخلات:

لحمادي، فطومة. (جانفي – جوان 2008). السّياق والنصّ ؛استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النصّي. قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر.

مواقع الأنترنت:

Sémantique interprétative et analyses mars 2009), Bénédicte Pincemin, (10 ouvertes.fr/ halshs-– http :/ halshs.archives، *.automatiques de texte :que deviennent les sèmes* .00367164,120

الهوامش والإحالات:

[1] راستي، فرانسوا ، ت الخطاب، إدريس، (2010). *علوم النص وفنونه*، دار توبقال للنشر ،ط1،ص82. الدار البيضاء ، المغرب .

[2] Bénédicte Pincemin, 10mars 2009,*Sémantique interprétative et analyses automatiques de texte :que deviennent les sèmes*، .http :/ halshs.archives– ouvertes.fr/ halshs-00367164,120.

[3] Bénédicte Pincemin, 10mars 2009,*Sémantique interprétative et analyses automatiques de texte :que deviennent les sèmes*، .http :/ halshs.archives– ouvertes.fr/ halshs-00367164,120.

[4] Greimas J. Courtés ,J. , p384 .(1993) .*Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage* . ،paris: ,Hachette supérieur.

[5] Rastier, françois p29، *Le grain et le mesure ;sémiiotique de corpus*،édition champion. paris.

[6] ينظر: كورتيس، جوزيف،وآخرون،ت بورايو، عبد الحميد، الكشف عن المعنى في النص السردي، دار السبيل، ص6.

[7] Bénédicte Pincemin,10mars 2009,*Sémantique interprétative et analyses automatiques de texte :que deviennent les sèmes*، .http :/ halshs.archives– ouvertes.fr/ halshs-00367164,12.

[8] .J.Greimas ,J.Courtés , (1993) *Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage*,Hachette supérieur، paris,p66.

[9] جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*، منشورات الاختلاف، الجزائر. ص44.

[10]–ينظر: إيكو، أمبرتو ، ت بنكراد، سعيد، (2004)، ط2، *التّأويل بين السّيميائيات والتفكيكية*، المركز الثقافي العربي، المغرب،ص 77.

[11]جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*. منشورات الاختلاف، الجزائر،ص 116.

[12] ربيعة جلطي ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد* ، منشورات الاختلاف، الجزائرص144.

[13] جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1 ، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*، الجزائر ، منشورات الاختلاف،ص 66.

[14]حمادي، فطومة، (جانفي – جوان 2008)، *السّياق والنصّ ؛استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النصّي*. قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

[15] Rastier ,françois ،p29، *Le grain et le mesure ;sémiiotique de corpus* , paris، édition champion, p60.

[16]جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*، الجزائر ، منشورات الاختلاف،ص51.

[17]جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*، الجزائر ، منشورات الاختلاف، ص55.

[18]Peirce.Charles.S,*Ecrits sur le sign*، seuil ,paris ,p96.

[19]علوي أحمد الملجمي. *المعنى الإيحائي بين التراث النقدي العربي والسيميائيات،ص282-283.*

[20]نعمان بوقرة ، (2009)،ط1، *اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة*، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص124.

[21]ربيعة جلطي ، (2009)،ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*. الجزائر ، منشورات الاختلاف، ص25.

[22] ربيعة جلطي، (2009)،ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*، الجزائر ، منشورات الاختلاف،ص124.

[23]ربيعة جلطي، (2009) ،ط1 ، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*، الجزائر ، منشورات الاختلاف،ص21.

[24]جلطي، ربيعة، (2009)،ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*. الجزائر ، منشورات الاختلاف،ص24.

[25] يوسف، أحمد، ص39، (2013)،ط1، *علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب*،الجزائر، منشورات الاختلاف .

[26]جلطي، ربيعة ، (2009) ، ط1،*رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر ، منشورات الاختلاف،ص12.

[27] سعيد بنكراد، (2011)، ط1، *استراتيجيات التأويل* ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،ص 09.

[28] إيكو ، أمبرتو ،ت بنكراد، سعيد ، (2010)،ط1، *العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه*، بيروت، المركز الثقافي العربي،ص164.

[29] بنكراد ، سعيد ، ،(2011)، ط1، *استراتيجيات التأويل*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ص09.

[30] جلطي ، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص44.

[31] جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص84.

[32]جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص46.

[33] جلطي ،ربيعة ، (2009)،ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص49.

[34] جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص180.

[35] جلطي، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص25.

[36] جلطي ،ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف،ص27.

[37]إيكو، أمبرتو،ت انطوان أبو زيد، (1996)، *القارئ في الحكاية* . الدار البيضاء ،ط1، المركز الثقافي العربي، ص 236.

[38] يوسف، أحمد ، (2013)، *علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب* ،الجزائر، منشورات الاختلاف،ط1، ص39.

[39]جلطي ، ربيعة ، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف، ص219.

[40] المرجع نفسه، ص54.

[41]جلطي ، ربيعة، (2009)، ط1، *رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد*،الجزائر، منشورات الاختلاف، ص82.